سارة تَطْبُخ

تأليف: أميمة عز الدين

رسم: هيام صفوت

ماما تَطْبُخُ الآنَ، رَوائِحُ الطَّعامِ تَصِلُ إلى سارَة. تَغْمُضُ سارَة عَيْنَيْها وتَشُمُّ بِقُوّةٍ. تَذْهَبُ إلى ماما بِالمَطْبَخِ.. تَقِفُ عِنْدَ البابِ تُشاهِدُ ماما وهِيَ تَطْبُخُ. فُرْنُ الغازِ مُشْتَعِلٌ وأواني الطَّهْي تَهْتَزُّ فَوْقَ النّارِ ويَتَصاعَدُ مِنْها البُخارُ السّاخِنُ جِدًّا، والإناءُ الكَبيرُ قَدْ تَحَرَّكَ غِطاؤهُ قَليلًا.. فاقْتَرَبَتْ سارَة تُريدُ أنْ تُشاهِدَ ماما عَنْ قُرْبٍ..

لَكِنَّ ماما نَصَحَتْها بِالابْتِعادِ وأنْ تَذْهَبَ إلى غُرفَتِها وتُنْهِيَ واجِباتِها المَدْرَسِيَّةَ، وتَنْتَظِرَ مَوْعِدَ الغَداءِ إلى أنْ يأْتِيَ بابا مِنَ العَمَلِ. سارَة جائِعَةٌ، تَذْهَبُ إلى ماما مَرَّةً أُخْرى وتُخْبِرُها أنَّ عَصافيرَ الجوعِ تُزَقْزِقُ في بَطْنِها، ضَحِكَتْ ماما وناوَلَتْها تُفّاحةً صَغيرةً وقالَتْ لها: «ساعَةً ويَأْتي بابا ونَأْكُلُ كُلُّنا».

انْتَهَتْ سارَة مِنْ كُلِّ واجِباتِها. إنَّها تَنْظُرُ إلى ساعَةِ الحائِطِ المُعَلَّقَةِ، وقِطَّتُها تَموءُ بِجِوارِها، تَسْألُها:

«أنْتِ أيْضًا جائِعَةٌ ؟».

تَذْهَبُ سارَة وتَصُبُّ بَعْضَ اللّبَنِ لِهِرَّتِها في طَبَقِها، وعِنْدَما تَنْتَهي الهِرَّةُ مِنَ اللَّبَنِ تَذْهَبُ وتَجْلِسُ عَلى حافَّةِ الشُّرْفَةِ في الشَّمْسِ تَمْسَحُ بِلِسانِها الخَشِنِ

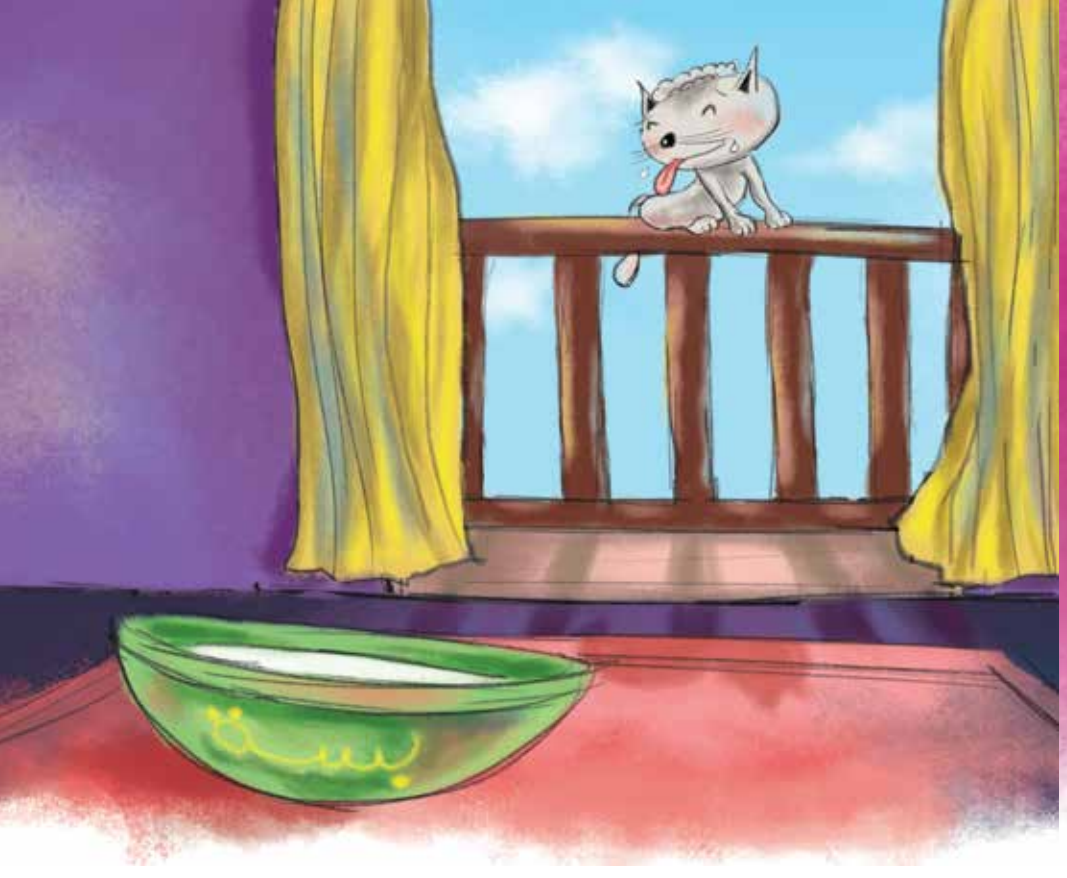

شَعْرَها وتَتَمَدَّدُ بِسَعادةٍ.

الجوعُ تَمَكَّنَ مِنْ سارَة وقَدْ تَخَيَّلَتْ أنّ السَّاعَةَ قَدْ تَوقَّفَتْ عَقارِبُها عِنْدَ الثّانِيَةِ.. ذَهَبَتْ إلى ماما مَرَّةً ثالِثَةً تُخْبِرُها أنَّ الوقْتَ لد يَمُرُّ وقَدْ طارَتْ عَصافيرُ بَطْنِها إلى رَأْسِها مِنْ شِدَّة الجوعِ.

ضَحِكَتْ ماما ونَصَحَتْها أنْ تَبْتَعِدَ عَنِ الأواني السّاخِنَةِ حَتّى لا تَتَأذّى. سارَة تُريدُ أنْ تَطْبُخَ مِثْلَ ماما.. وتَصْنَعَ كَعْكَةَ التُّفّاحِ – الّتي تُحِبُّها – بِنَفْسِها.. قالَتْ:

«ها هُو الدَّقيقُ والسُّكَّرُ النّاعِمُ وقِطَعُ التُّفّاحِ.. دَعيني أُساعِدُكِ يا ماما».

سارَة ظَلَّتْ تُقَلِّبُ الدَّقيقَ بِاللّبَنِ المُسَكَّرِ في دَوائِرَ حَتّى أصْبَحَ عَجِينَةً، ثُمَّ أضافَتِ التُّفّاحَ وقَليلًا مِنَ الفانيلْيا.. الرّائِحَةُ تَمْلَأُ المَكانَ... شَكَرَتْها ماما وهِيَ تَضَعُ الكَعْكَةَ في الفُرْنِ.. جَلَسَتْ سارَة تُراقِبُ انْتِفاخَ الكَعْكَةِ وتَذَكَّرَتْ فَجْأةً أنَّها نَسِيَتْ وضْعَ البَيْضِ المَخْفوقِ عَلى العَجينَةِ...

نَظَرَتْ أسْفَلَ المائِدَةِ ووجَدَتْ قِطَّتَها تَأْكُلُ البَيْضَ
حَتّى أتَتْ عَلَيْهِ كُلِّهِ.
لا تَعْرِفُ كَيْفَ تُخْبِرُ ماما بِالحَقيقَةِ... عِنْدَما أتى بابا
مِنَ العَمَلِ أسرعَتْ إلَيْهِ تَسْتَقْبِلُهُ وتُقَبِّلُهُ، لاحَظَ حُزْنَها
وكَذلِكَ ماما الّتي وضَعَتِ الطَّبَقَ أمامَها وانْتَظَرَتْ أنْ
تَأْكُلَهُ كُلَّهُ، لَكِنَّ هذا لَمْ يَحْدُثْ، ولَمّا سَألَتْها ماما عَنْ

سَبَبِ حُزْنِها، خَجِلَتْ سارَة مِنْ نَفْسِها ولَمْ تَرُدّ.
بَعْدَ قَليلٍ، جاءَتْ ماما بِكَعْكَةِ التُّفّاحِ، ومَعَها كُؤوسُ
العَصيرِ البارِدِ... ولَمّا هَمَّ بابا بِتَناوُلِ قِطْعَةٍ مِنْها لاحَظَ
طَعْمَها الغَريبَ وتَوقَّفَ عَنْ تَناوُلِها.

سارَة تَشْعُرُ بِحَرَجٍ كَبيرٍ وهِيَ تَرى ماما مُنْزَعِجَةً وغَيْرَ سَعيدَةٍ، نَظَرَتْ ماما إلى سارَةَ وسَألَتْها:

«هَلْ وضَعْتِ كُلَّ المَقاديرِ في الكَعْكَةِ كَما أخْبَرْتُكِ؟».

سارَةُ لد تَرُدُّ.

وأشارَتْ إلى القِطَّةِ وقالَتْ: «هِرَّتي هِيَ الّتي أكَلَتِ البَيْضَ المَخْفوقَ».

القِطَّةُ تَموءُ بِبَراءَةٍ، سارَة لد تَشْعُرُ بِالسَّعادَةِ ولد السُّرورِ الآنَ لِأنَّها اتَّهَمَتْ قِطَّتَها بِأنَّها هِيَ السَّبَبُ فى إفْسادِ الكَعْكَةِ.

هَزَّتْ ماما رَأْسَها بِعِتابٍ، وضَحِكَ بابا قائِلًا: «رُبَّما عَلَيْنا أنْ نَقولَ الحَقيقَةَ حَتّى لا نُؤْذِيَ غَيْرَنا بِكَذِبِنا يا سارَة».

قالَتْ سارَة: «لَقَدْ نَسِيْتُ أنْ أخْلِطَ البَيْضَ بِالعَجينِ، نَسِيْتُهُ تَحْتَ المائِدَةِ وأتَتْ الهِرَّة وتَناوَلَتْهُ بَعْدَ أنْ وضَعَتْ ماما الكَعْكَةَ في الفُرْنِ».

وتابَعَتْ: «سامِحيني يا ماما.. لَقَدْ رَغِبْتُ في مُساعَدَتِكِ بِالطَّبْخِ».

في المَساءِ جَلَسَتْ سارَة تُفَكِّرُ، كَيْفَ تُزيلُ الغَضَبَ مِنْ قَلْبِ ماما؟ أحْضَرَتْ أَلْوانَها ورَسَمَتْ كَعْكَةَ التُّفّاحِ، كَبيرَةً تَمْلَأُ الورَقَةَ وذَهَبَتْ إلى ماما في المَطْبَخِ.

ماما فَرِحَتْ بِالكَعْكَةِ المَرْسومَةِ وسامَحَتْها وأخْبَرَتْها أنَّها
مِنَ المُمْكِنِ أنْ تَتَواجَدَ مَعَها في المَطْبَخِ بَعْضَ الوَقْتِ
كَيْ تُساعِدَها شَرْطَ أنْ تَظَلَّ بَعيدَةً عَنِ فُرْنِ الغازِ...

أحْضَرَتْ سارَة كُرْسِيًّا ووَقَفَتْ أمامَ حَوْضِ الأطْباقِ..
تَغْسِلُ الأطْباقَ الصَّغيرَةَ وتُناوِلُ ماما البَهارَ والمِلْحَ
وتُنَظِّفُ مَعَها أرْضِيَّةَ المَطْبَخِ.